التعليم

مبادئ عمومية

وعدنا في العدد الثامن ان نبسط الكلام على علم التعليم وصناعته مستعينين على ذلك بجهابذة العلماء الاوربيين الذين ألفوا الكتب الكبيرة في هذا الموضوع الجليل وايجازًا لذلك جمعنا الفصول الثانية وسندرجها تباعًا ان شاء الله

لا يعمل الانسان عملاً ما لم يكن على شيء من المعرفة لان العمل يستدعي استخدام بعض الوسائط فيجب ان يكون عارفًا بان استخدامها يؤدي الى اتمام العمل المطلوب . مثال ذلك جلس زيد يكتب على مكتبهِ فشعر بعد حين ببرد في يديهِ ورجليهِ فنهض وجعل يعدو في غرفتهِ ذهابًا وايابًا وينفرك يديهِ لانهُ يعرف ان الحركة تدفئهُ وقد اكتسب هذه المعرفة إما من اختبارهِ واختبار غيرهِ واما من العلم بخواص الاجسام واعضاء الجسد ووظائفها المختلفة وتأثير الرياضة في الدورة الدموية . والمعرفة الاولى عمليَّة والثانية علميَّة

والفرق بين المعرفة العمليَّة والعلميَّة ان الاولى مبنيَّة على الاختبار القليل والاستقراء الناقص وكثيرًا ما يعروها عدم الثبات والتدقيق وقواعدها غير مضطَّردة ولا محقَّقة . واما المعرفة العلميَّة فمبنيَّة على اختبار واسع النطاق واستقراء قريب من التمام او على اوَّليات بديهيَّة تحكم بصحتها كل العقول ونواميس طبيعيَّة ثبتت على ممرّ الايام والدهور . فالاحكام المبنيَّة على المعرفة العلميَّة ارسخ في النفوس واقوى على الإقناع من الاحكام المبنيَّة على المعرفة العمليَّة

ومتى كثرت فروع العمل حتَّى لم يعُد الانسان يستطيع اتقانهُ الاَّ بعد تعلمهِ ومزاولتهِ صار صناعة . وكل صناعة تستلزم مقدارًا من المعرفة . وقد كانت المعارف عمليَّة فقط في بدء الحضارة ومستهلّ العمران فزرع اسلافنا الارض البيضاء نوعًا من الحبوب والحمراء نوعًا آخر لانهم عرفوا بالاختبار ان النوع الاول يجود في الارض البيضاء اكثر مما يجود في الحمراء والثاني يجود في الحمراء اكثر مما يجود في البيضاء وهلمَّ جرًّا . وطببوا الامراض المختلفة بانواع مختلفة من العقاقير لانهم عرفوا بالاختبار انها تفيد في تلك الامراض كلاًّ في المرض الذي استُعمل لهُ

ولكن المعرفة العمليَّة لا تكفي ولا تغني عن المعرفة العلميَّة ولذلك تطلَّب الصنَّاع تحقيق المعارف التي يبنون عليها صناعاتهم وتمحيصها فلجأوا الى الحقائق العلميَّة فاستفادت

صناعة الفلاحة من علم الكيمياء وعلم النبات . وصناعة الطب من التشريح والفسيولوجيا . وترقّت العلوم باعتماد الصنائع عليها لان العلماء زادوا بحثًا وتدقيقًا واستكشافًا للحقائق واستجلاء للغوامض . وسبب ذلك واضح وهو ان نقص المعرفة العمليّة وعدم وفائها بالغرض المطلوب زاد ظهورها بتقدّم الصنائع وترقّيها ولاسيما الصنائع المتعلقة بالحياة كصناعة الطب . فان اعضاء الجسم كثيرة مختلفة الوظائف فتختلف الامراض باختلافها وتدعو الى اختلاف في فعل العلاج فاذا شفي التهاب اليد بنوع من العلاج فالتهاب الرجل قد لا يشفى به وكذا التهاب الساق والرئة وهلمّ جرًّا ولذلك دعت الحال الى زيادة البحث والاستقراء والاتجاه الى القواعد العلميّة فوُضعت مبادئ علم الطب . ومن ثمّ قُسمت العلوم الى علم نظري وعلم عملي او الى علم وصناعة اي علم الاصول والقواعد وعلم مباشرة تلك الاصول والقواعد . ولا يقوم العلم مقام الصناعة ولا يغني عنها وغاية ما يستفاد منهُ انهُ يقوّي الصناعة و يفسّر اسبابها و يبين اصولها و يصلح ما يعتورها من الخطإ . وكثيرًا ما تدعو الحقائق العلميّة الى اكتشاف طرق جديدة في الصناعة

والتعليم من اكبر الصنائع واعلاها شأنًا واوسعها نطاقًا واكثرها فائدة في الحال والمآل وقد حاول كثيرون من العلماء والفضلاء وضعهُ على اسس علميّة كما وضع غيرهم صناعة الطب وصناعة الفلاحة على اسس علميّة . ولا يخفى انهُ لا يستنبط لهم ذلك تمامًا قبلما يتفقون على غاية التعليم . وقد اختلفوا في هذه الغاية من قديم الزمان لاتّساع موضوع التعليم وتناولهِ كل مصالح الانسان في الحياة الحاضرة والعتيدة ولكنهم متفقون على هذا الامر وهو ان من اجل غايات التعليم جعل الانسان يعيش عيشة راضية سعيدة جسدًا وعقلاً . وما يطلق على الافراد من هذا القبيل يطلق على الامة فيُنظَر في التعليم الى هذه الغاية على الاقل . ولا بدّ لعلم التعليم من اصول نظريّة متعلقة ببنية الولد الجسديّة والعقليّة ونسبتها الى ما حولها وفعلها بالمؤثرات الخارجيّة وانفعالها بها وشرائع نموها وارتقائها . وهذه الاصول النظريّة مستمدّة اكثرها من علم وظائف اعضاء الجسد اي علم الفسيولوجيا وعلم وظائف قوى النفس اي الفلسفة العقليّة او علم السيكولوجيا . والاصول المستمدة من علم الفسيولوجيا هي اساس التربية الجسديّة والاصول المستمدّة من علم السيكولوجيا اساس التربية العقليّة

و يظهر من النظر في قوى العقل انهُ يمكن قسمتها الى ثلاثة اقسام وهي الادراك والعواطف والارادة . وتربية كلٍّ منها تستدعي اعمالاً خاصة واستعدادًا خاصًّا في المعلم والمتعلم وتنقسم

التربية بحسبها الى عقليّة وذوقيّة وادبيّة بحسب الغايات الثلاث الحق والحُسْن والفضيلة.

فتربية الادراك تقوّي القوى العاقلة على ادراك العلوم والفنون وتربية العواطف تقويها على معرفة الحسن والسارّ في الطبيعة والصناعة. وتربية الارادة تقويها على غلب الاهواء وعلى التحلّي بالكمالات والمناقب

ويستعان على ادراك هذه الغايات بثلاثة علوم اخرى تكاد تعدّ صناعات لانها لا تقتصر على الاصول النظريّة وهي علم المنطق الذي يعصم الذهن عن الخطإ في الاستدلال وعلم الحسن الذي سنّت فيه قواعد الجمال وعلم الاديبات الذي سنت فيه قواعد السلوك والفضائل

والفلسفة العقليّة او السيكولوجيا افيد العلوم لعلم التعليم لان اكثر قواعده مستمدة منها فانّ غرض المعلم انماء القوى العقليّة واذا حاول انماء القوى الجسديّة فيكون لاجل انماء القوى العقليّة ايضًا. وليست فروع الفلسفة العقليّة لازمة له كلها على حدّ سوى بل منها ما هو اشدّ لزومًا من غيره ولكن لا بدّ له من درس كل هذه الفروع ولو الماما لانه ليس من قوة من قوى العقل تعمل وحدها مستقلة عن كل القوى الاخرى. ومعرفة قوى العقل لا تعلّم المعلّم كيف يعلّم ولكنها تعلمه ان يمحّص طرق التعليم المعروفة ليرى صحيحها من فاسدها وليستعيض عن الفاسد منها بطرق اصلح منه. ولا يُنتظر من الفلسفة العقليّة ان تبطل المعرفة العمليّة في التعليم بل ان تمحّصها وتهذّبها لانها تشرح قوى العقل بنوع عام وتبين الطريق الافضل لتطبيق التعليم عليها ولكنها لا تشرح خصوصيات كل عقل ومزايا كل شخص فلا بدّ من تفحّص قوى كل تلميذ على حدته وتطبيق طرق التعليم عليها والمعرفة العمليّة والعمليّة مجال واسع هنا

ولا نعني بالتعليم في ما تقدّم وما يلي مجرّد ابلاغ المعرفة الى العقل وخزنها فيه بل تربية قوى العقل وتهذيبها. وقد اراد كثيرون من الكتّاب الاوربيين والاميركيين ان يفصلوا بين هذين العملين ولعلّ الفصل بينهما سهل مرغوب فيه في بلادهم اما في بلادنا فلا نرى داعيًا للفصل بينهما بل بالضدّ من ذلك نرى المعلّم مطالبًا بتهذيب قوى العقل مع ابلاغ المعرفة اليها لان التلميذ لا يجد بدلاً عنه في والديه على الغالب فان لم يتكفل المعلّمون بالتعليم والتهذيب معًا لم ترتقِ العقول ولا بلغ التعليم الحد المقدور له. وسيأتي تفصيل ما اجملناه هنا في الفصول التالية